

# مؤسسة "فقيه الشرط" في البادية المغربية: ملاحظات واستنتاجات ميدانية

عبد الهادي أعراب  
باحث مغربي



قسم الدراسات الدينية

"إنها فئة مثيرة للاهتمام في كل حال، فئة هؤلاء الناس "أناس متوسطين" الذين دون أن يكونوا علماء أو أولياء صالحين، يحق لهم أن يثيروا هذا النوع من المشكلات".<sup>1</sup>

## في البدء:

نروم في هذه الورقة، وبناء على معطيات دراسة ميدانية، تسليط الضوء على مؤسسة حيوية بالمجتمع المغربي العميق استطاعت عبر تاريخه الطويل، أن تلعب أدوارا كبرى ومختلفة، دينية واجتماعية ومعرفية وثقافية ورمزية... وإن كانت في كل هذه الأدوار التي تناط بها، تمارسها من منطلق ديني بفضاء جغرافي واجتماعي ظل هامشيا أو محكوما بالتهميش والإقصاء، حيث دور الدولة يكاد يكون ثانويا، إن لم يكن ضعيفا. يتعلق الأمر إذن، بتمثيلية دينية محلية تناسب إسلام الناس أو الإسلام الشعبي<sup>2</sup>، تدين فقهي معتدل منفتح على المعطيات المحلية والمعتقدات والممارسات والطقوس المجتمعية<sup>3</sup>، نجد ملامحه جلية في مجموع الأدوار والوظائف التي يضطلع بها "فقهاء الشرط" بناء على مؤهلاتهم المعرفية المختلفة ورساميلهم الرمزية التي تحوز قدرا مهما من الاعتراف من قبل القرويين.

يبقى أن نتساءل:

- ما هي خصوصيات تمثيلته الدينية والرمزية؟ وما هي أسسها العميقة؟

- ماهي حدود ومساهمات "فقيه الشرط" في تأطير بادية اليوم؟ ثم ماهي أيضا مجمل التحولات التي مست

مكانته وأدواره أمام التمثيليات الدينية الدخيلة على الفضاء القروي؟

<sup>1</sup> - فاني كولونا "متفقون في الأطراف": الانتلجنسيا في المغرب العربي، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط. I، 1984، ص 276

<sup>2</sup> - في مجتمع مجاور للمغرب، لاحظت "فاني كولونا" في دراستها لطلبة "الأوراس" بالجزائر، أن الأمر يتعلق "بمتمقنين تقليديين" وممثلين للدين القروي، مسجلة بدورها الصور المتعددة والطابع المتنوع لهؤلاء الفقهاء الذين يعيشون إلى جانب القرويين والفلاحين:

F. COLONNA: « LA RÉPÉTITION. LES TOLBA DANS COMMUNE RURALE DE L'AURES » IN: *L'ANNUAIRE DE L'AFRIQUE DU NORD*, ÉD. CNRS, 1979, p. 202

<sup>3</sup> - ساهمت عدة عوامل بالمغرب في تعايش الإسلام الشعبي والإسلام الرسمي، نذكر منها: خصوصيات الفقه المالكي واعتداله وتوفيقه بين العقل والنقل ومزاوجته بين الحديث والفقه، مما جعله مذهباً يحظى باستحسان العامة، دون أن ننسى إقراره أيضا من قبلاسلطة السياسة التي وجدت فيه مفهوم "الفقيه الأمير" التي تعمقت بصوره واضحة في عهد ابن تومرت؛ أنظر بهذا الصدد: كوثر المعتز "المذهب المالكي وبناء الدولة في المغرب الأقصى": مؤلف جماعي، المعرفة والسلطة بالمغرب، قضايا راهنة، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، البيضاء، 2005، ص ص 110-111

## 1- السؤال المنطلق:

جاء اشتغالنا على فئة حفظة القرآن الغرباء المنتشرين في الدواوير والمداشر القروية<sup>4</sup>، تنويجا لانشغالنا الأساسي داخل سوسيولوجيا الدين، بفهم منطق التحول الاجتماعي لمجموعة من المؤسسات الثقافية القروية، اخترنا منها مؤسسة "فقيه الشرط". ومما زاد من إصرارنا على هذه الدراسة، غياب بحوث خاصة حول الموضوع، خصوصا بإقليم خريكة الذي اخترناه ميدانا للبحث. فقياسا إلى "جباله" و"سوس"، اللتان استفادتا من التراكم العلمي للدراسات والتراجم التي همت شخصيات دينية، علماء وفقهاء وطلبة ومدرسين قرآنيين، افتقر مجال دراستنا إلى هذه المادة الخام؛ مما جعل من عملنا محاولة للاستكشاف والتنقيب، سعينا فيه ضد الكتابات التي ذهبت إلى اختزال "الفقيه" وتقزيم أدواره، إلى التعامل معه ليس بوصفه شخصا، وإنما من حيث هو مؤسسة<sup>5</sup>؛ أي كإطار اجتماعي وثقافي لمجموعة مركبة من القيم والمعايير والاستعمالات المشتركة من طرف القرويين بناء على عقد "الشرط"<sup>6</sup> الذي يصبح الإطار القانوني-العرفي الذي ينظم عملهم ومهامهم بالبادية.

وقد أثار انتباهنا، أن الدراسات التي همت الإسلام بالمجتمع القروي المغربي، سيما التي أنجزها باحثون كولونيايون، ركزت على الأولياء والزوايا والطرائق الصوفية، بينما هي تجاهلت "فقهاء الشرط" أو قصرت حديثها عنهم في إشارات وعناوين فرعية<sup>7</sup>. أما بعض الكتابات الوطنية المسكونة بأفكار السلفية الإصلاحية، فقد ركزت على إسلام اعتبرته جوهريا هو إسلام العلماء وفقهاء المدن، بينما عدت كل ما سواه بدعا<sup>8</sup>، والإشارة هنا لإسلام البوادي والمناطق النائية عن المركز، حيث تلعب الزوايا و"فقهاء الشرط" دورا أساسيا في تعميق معتقداته بشكل يستدمج المعطيات المحلية والقيم المجتمعية.

من هنا، نؤكد أن أحد أهدافنا هو التركيز على نموذج من الإسلام الشعبي، كما يتداوله ويصرّفه "فقيه الشرط"، والوقوف باهتمام أمام الثقافة القروية العالمية، من خلال أدواره الدينية ومزجه بين عالم الكتابة وعالم الشفاهية<sup>9</sup>، كما بين المعتقدات المحلية والتعاليم المعيارية المجردة. وقد ألزمتنا هذا الخيار المنهجي، بمساءلة راهن أدواره ومكانته ومدى تكيفه مع التحولات الجارية ومقاومته لتأثيراتها المتواصلة. لذا اخترنا ميدانا

<sup>4</sup>- J. BERQUE, *STRUCTURES SOCIALES DU HAUT-ATLAS, RETOUR AUX SEKSAWA*, PUF, PARIS, 2ÈME ED., 1978, p.254

<sup>5</sup>- RAYMOND BOUDON ET AUTRES, *DICTIONNAIRE DE SOCIOLOGIE*, ÉD. LAROUSSE, 2005, p.126

<sup>6</sup>- أحمد التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر: إنولتان (1850 - 1912)*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، أطروحات ورسائل، ط. II، 1983، ص 453

<sup>7</sup>- من ذلك مثلا، إشارات ANDRÉ BASSET إلى الطلبة بوصفهم مدرسين، حاصرا دورهم ببعض الممارسات والمناسبات الطقوسية كالجفاف والمآتم:

FANNY COLONNA, *SAVANTS PAYSANS ÉLÉMENTS D'HISTOIRE SOCIALE SUR L'ALGÉRIE RURALE*, OFFICE DES PUBLICATIONS UNIVERSITAIRES, ALGER, 1987, p. 12

<sup>8</sup>- انظر: نور الدين الزاهي، *الزواوية والحزب. الإسلام والسياسة في المجتمع المغربي*، أفريقيا الشرق، البيضاء، 2001، ص 130-131-132-133

<sup>9</sup>- F. COLONNA, *SAVANTS PAYSANS...*, OP.CIT, p. 16

للبحث، مجالاً عرف ولازال يعرف تغيرات مترادفة ابتدأ مسارها في عشرينيات القرن المنصرم مع اكتشاف الفوسفات وتطور التصنيع الذي رافق استغلاله وتحول مجموعة من القبائل والداوير إلى مدن ومراكز منجمية..، وهو ما أسعفنا في ملامسة قضايا الموضوع والإجابة عن الإشكالية التي يطرحها.

## 2- المقاربة المنهجية المتبعة:

إن ما عرفه المجتمع المغربي والقروي منه تحديداً، من تحولات مست القيم والتقاليد وأنماط التفكير والسلوك والمؤسسات...، حفزنا سوسيولوجيا على تحليل منطق النظام الاجتماعي، ليس فقط لفهم طبيعة التحولات أو لقياس حجمها، بل للإمساك بمؤثراتها وعلاقتها بالتصورات المجتمعية التي ينتجها الأفراد عن حياتهم ومدى تكيفهم مع تأثيراتها التي مست واقعهم الاجتماعي.

هكذا وضعنا هذه الدراسة بين مواجهة الذاكرة أو الماضي والراهن المتحول؛ فعدنا إلى مساءلة تصورات القرويين وتمثلاتهم لأدوار مؤسسة الفقيه، بقصد فهم العلاقة التي تنتظم بين الاعتقادات المنتجة وواقع التحولات التي عرفها مجالهم الجغرافي والاجتماعي. ولتأطير هذه الخطوات منهجياً، زوَجنا بين التاريخ<sup>10</sup> والأنثروبولوجيا، لأن دراسة أي واقع اجتماعي تستلزم استقراء الماضي وفهم طبيعة العلاقة التي تربطه بالحاضر، غير أننا لم نقصر اهتمامنا بالتغير عند حدود المقارنة بين الماضي والحاضر، إنما اتجهت مساعينا إلى تجاوزها؛ كما لم نحصر فهمنا للتحول في بعده الكرونولوجي أو الخارجي فقط، ولكن بمتابعته من داخل ذاكرة<sup>11</sup> المبحوثين وعبر قراءة لتمثلاتهم<sup>12</sup> وبعبارة أوضح، فالتاريخ الذي رَمنا توظيفه لم يكن مجرد تاريخ للماضي، بل نوعاً آخر يهتم بالمؤسسات الثقافية ويرصد أهم تحولاتها. أما الانفتاح على أدوات الأنثروبولوجيا، فقد مكننا من تأطير التهميش الذي يعرفه العالم القروي والانتباه لتفاصيل وخصوصيات حياته الثقافية ضد كل أشكال الطمر والردم التي تهددها.

ولتنفيذ هذه المقاربة المنهجية، استدعينا تقنيات مختلفة تقاطع فيها الكمي بالكيفي، لإغناء الدراسة وسد الثغرات الواردة في جمع معطياتها. بدءاً بالملاحظة لمتابعة الظواهر المدروسة؛ والمقابلة المعمقة مع مبحرين

<sup>10</sup>- بين السوسيولوجيا والتاريخ، والتاريخ الاجتماعي تحديداً أكثر من صلة، فالباحث السوسيولوجي يلتقي بالمورخ في ميدان مشترك، رغم انطلاقهما من توجهات مختلفة. وبالرجوع إلى كل من ماركس وكونت وفير دوركهيم نجد أن هؤلاء جميعاً، تبنوا أن الحاضر نفسه جزء من التاريخ:

PAUL THOMPSON « DES RÉCITS DE VIE À L'ANALYSE DU CHANGEMENT SOCIAL », TRADUIT PAR: D. BERTAUX: *CAHIERS INTERNATIONAUX DE SOCIOLOGIE*, VOL, LXIX, 1980, P. 249-250

<sup>11</sup>- تتقاطع الذاكرة الفردية مع الذاكرة الجماعية، دون أن تتأى عن فهم الحاضر، لأنها تشتغل على ضوء عناصره، بما يجعلها أداة مهمة لفهم تفصلات الفردي والمحلي. :المحلي. MAURICE HALBWACHS, *LES CADRES SOCIAUX DE LA MÉMOIRE*, MOUTON, 1976, P.141,142 VOIR AUSSI: JORGE BALLAN ET ELIZABETH JELIN « LA STRUCTURE SOCIALE DANS LA BIOGRAPHIE PERSONNELLE »: *CAHIERS INTERNATIONAUX DE SOCIOLOGIE*, OP.CIT, P. 274

<sup>12</sup>- قَرَبنا فحص تمثلات الأفراد، وعناصر الثقافة القروية بمستوياتها المختلفة (أمثال، نكات، ..) مما يسميه بورديو بسوسيولوجيا الإدراك، أو سوسيولوجيا الناس؛ وهو خيار منهجي أَلزَمنا بتحليل خطابات مسترسلة للمبحوثين، لها صلة بمعيشهم وذكرياتهم وأحلامهم وأمانهم؛ أنظر:

DANIEL BERTAUX « L'APPROCHE BIOGRAPHIQUE: SA VALIDITÉ MÉTHODOLOGIQUE ET SES POTENTIALITÉS »: *CAHIERS INTERNATIONAUX DE SOCIOLOGIE*, OP.CIT, P. 218

مختلفين (فقهاء – مدرسين-نساء<sup>13</sup> – قرويين شيوخ) لتجميع أكبر قدر من المعطيات الكيفية عن الموضوع، وانتهاء بتكميم هذا الجانب الكيفي عبر استثمار المعطيات الإحصائية المستخلصة من تطبيق الاستمارة.

### 3- خلاصات واستنتاجات ميدانية:

تندرج مساهمتنا في إطار الحقل الديني القروي قياسا إلى الحقل الديني الحضري في مستوى خاص والحقل الديني المجتمعي بشكل عام. يتعلق الأمر بعمل ميداني تناول إحدى المؤسسات التي تمثل الإسلام الشعبي أو إسلام الناس<sup>14</sup> أو الإسلام العادي كما يحب البعض أن ينعته، وهي مؤسسة "فقيه الشرط"، بدءا بمختلف الجوانب التي تميز حياته الدراسية والمهنية والاجتماعية والثقافية، وكذا خصوصية أدواره داخل مجتمع الدراسة ومجمل التحولات التي مست مكانته الرمزية وأشكال التكيف والمقاومة التي وسمت تعامله مع هذه التحولات. ونستطيع فيما يناسب موضوع هذا اللقاء العلمي اليوم حول "الدين والتدين مقاربات معرفية في الأنماط الاجتماعية للدين"، أن نتوقف عند الملاحظات والاستنتاجات التالية:

**أولاً:** إن الحديث عن "فقيه الشرط" يستلزم استحضار تعددية مؤهلاته وغنى معارفه وتنوعها، بعيدا عن أي تنميط من شأنه أن يختزل مؤسسته في جزء فقط من أدوارها الكثيفة داخل الوسط القروي. على أنه بتعدد مؤهلاته ومختلف أدواره، يضعنا أمام وضعية "الالتباس" الذي نرى أنه سمة خاصة تطبع ثقافته ككل، ونقصد بثقافة الالتباس هنا الكيفية التي تتداخل فيها سجلات عديدة: دينية ومعرفية وغيبية ورمزية في تثبيت وترسيخ مجموع أدواره، بل وتواجهه كذلك من حيث هو إطار مؤسسي بالبادية المغربية.<sup>15</sup>

**ثانياً:** التداخل ذاته يصبح مصدر الصعوبة التي اعترضتنا في تصنيفه: فهل يتعلق الأمر بنخبة محلية ونحن نتحدث عن "فقهاء الشرط"؟ أم أنهم رجال دين وسحرة ومعالجون ومدرسون؟ أم هم مجرد موظفين مأجورين من خلال "عقد الشرط"؟

لئن حاول بعض الباحثين، أمثال (Fanny Colonna) تصنيف "فقهاء الشرط" ضمن مفاهيم خاصة، مثل "المتقف التقليدي" أو "متقفي الأطراف"، فإننا نميل إلى اعتبارهم فئة أو مجموعة مهنية<sup>16</sup> قاسمها المشترك، حفظ القرآن والعمل بالشرط كعقد عمل اجتماعي وثقافي يربط علاقتهم بالسكان، وفي المقابل نبتعد عن وصفهم ب"النخبة"، لأنهم في وضع اجتماعي يصعب عليهم العمل فيه، باستقلال تام عن النظام الاجتماعي القائم أو

<sup>13</sup>- نشير إلى أننا اعتمدنا في إنجاز المقابلات الموجهة للنساء على وساطة نسوية متمدرسة.

<sup>14</sup>- VOIR: F. COLONNA « EN ALGÉRIE L'ISLAM DES GENS »: *PROJET*, N°: 231, AUTOMNE, PARIS, 1992, P.21

<sup>15</sup>- لاحظ J. BERQUE أن تعدد وامتزاج الأدوار التي يضطلع بها "فقيه الشرط"، تمكنه من احتلال موقع جد خاص ومتميز داخل المجتمع القروي:

J. BERQUE, *ETUDE D'HISTOIRE MAGHRÉBINE*, LES ÉDITIONS INTERNATIONALES, 1938, P. 58

<sup>16</sup>- J. BERQUE, *STRUCTURES SOCIALES DU HAUT-ATLAS, RETOUR AUX SEKSAWA*, PUF, PARIS, 2ÈME ED., 1978, P. 254

بالغاء تبعيتهم الاقتصادية للسكان، وإيديولوجيا كونهم ظلوا عاجزين عن بلورة فكر يؤطر وجودهم الاجتماعي والثقافي.

تبيّن ميدانيا، أن كل فقيه ينتظم في "شبكة مهنية" محلية للفقهاء<sup>17</sup>، تشكل فريقا يتزعمه أكبرهم سنا وأحنكهم تجربة، للبحث عن فرص مغرية للعمل بالشرط أو للتنقل أيام الجمعة عبر المقابر أو لتبادل الأخبار والمعلومات عن الجوامع الشاغرة أو للارتزاق من خلال إحياء الولائم وتنشيط المآثم وكافة المناسبات الاجتماعية التي تستدعي تلاوة القرآن ورفع دعاء الختم للحضور والمدعوين. لكننا وفي كل هذه المساعي والأعمال التكسبية، لا نستطيع أن ننكر تميزهم داخل الوسط القروي خصوصا عن فئة "العوام"؛ فبالرغم من أنهم رجال دين بسطاء ومختلفون تماما عن رجال الدين المعروفين رسميا كالعلماء والقضاة الشرعيين والفقهاء الذين يتصدرون قمة الهرم<sup>18</sup>، فإنهم يشغلون داخل المجتمع القروي مكانة متميزة بوصفهم متعلمين وممتلكين لثقافة تختلف عن تلك التي يمتلكها العوام<sup>19</sup>، بل إنهم يحتلون المرتبة الثانية بعد الشرفاء، مثلما لاحظ Westermark<sup>20</sup>.

**ثالثا:** من الواضح أنه في ظل انتشار الأمية والجهل، يصبح احتكار المعرفة والقراءة والكتابة<sup>21</sup> وتفسير النصوص الدينية من شأن الفقيه وحده<sup>22</sup>، مما يضمن له مكانة رمزية خاصة دون بقية القرويين<sup>23</sup>، كالاضطلاع بدور الاستشارة التي تعزز علاقته بالسكان التي تتوجه إليه في كثير من القضايا، تتعلق بالحياة الجماعية للدوار أو بالحياة الخاصة والحميمة للأفراد، لتصبح هذه الاستشارة محصلة للثقة المودعة في الفقيه بوصفه أهلا لها. لذا فحتى الذين لا يفضلون انتشاره، لا يشككون في أمانته أو سلوكه الأخلاقي الذي يضمن للاستشارة سريتها، وإنما يعتبرونه مؤهلا أكثر للاستفتاء الديني، لا في القضايا الشخصية.

17- تفرض خصوصيات مهنة الشرط على الفقهاء، تأسيس شبكات خاصة لتبادل الأخبار والمعلومات حول المناطق الغنية أو الأكثر جاذبية للعمل، فالغربة التي يعيشونها، تدفعهم إلى تشكيل شبكة خاصة من "محترفي العيش في الغربة": ديل أيكلمان، *المعرفة والسلطة*، م.س.ذ، ص 109

18- عز الدين الخطابي، *سوسيولوجيا التقليد والحداثة بالمجتمع المغربي*، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ط. I، 2001، ص 79

19- JACQUES JAWHAR VIGNET – ZUNZ « UNE PAYSANNERIE DE MONTAGNE, PRODUCTION DE FUQAHA, LES JBALA, RIF OCCIDENTAL, MAROC »: *L'ANNUAIRE DE L'AFRIQUE DU NORD XXXIII*, ÉD. CNRS, 1994, P. 205

20- MOKHTAR EL HARRASS «LA SOCIÉTÉ D'ANJRA À TRAVERS LES ÉCRITS D'EDWARD WESTERMARCK », IN: *WESTERMARCK ET LA SOCIÉTÉ MAROCAINE*, PUBLICATIONS DE LA FACULTÉ DES LETTRES ET DES SCIENCES HUMAINES – RABAT, SÉRIE: COLLOQUES ET SÉMINAIRES, N°: 27, 1ÈRE ÉD. 1993, P. 68

أنظر أيضا: فاني كولونا: "متقنون في الأطراف" ...، م، س، ذ، ص 276

21- رغم أن "الشفاهية" سمة مهيمنة بالمجتمع القروي، فلا نستطيع أن ننكر أهمية الكتابة ومنزلتها، إذ تحمل طابعا سلطويا وقدسيا، فهي تحيل على السلطة الدنيوية/المخزن، وفي الآن ذاته على سلطة الدين؛ هاهنا نفهم سر تقبيل القروي لأوراق المكتوبة: عبد الرحمان المودن "قراءة نقدية في كتاب: " العرض والبركة لرايمون جاموس": منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، العدد 9، 1982، ص 199

22- تكمن أهمية الثقافة المكتوبة بالقروية، في كونها حاملة للثقافة الإسلامية واللغة العربية، فاتحة للمتعلمين أفقا أرحب من أفقهم المحلي: أحمد التوفيق، *المجتمع المغربي..*، م.س.ذ، ص 459

23- لاحظ المختار السوسي أن مكانة الفقيه تزداد تميزا في الأوساط الأمازيغية، حيث يتطلب حفظ القرآن وقرآته وفهمه، تعلم اللغة التي نزل بها؛ ثم إن الحاجة القوية للعلم الديني وفهم القرآن، تخول له سلطة علمية ودينية تجعله فوق العامة، وطالما أن الدين لا يفهم بلغة القوم، فهم في حاجة إلى "نخبة عالمة" بلغته: علي أولملي: "المختار السوسي: السلطة العلمية والسلطة السياسية": *المناهل*، العدد، 62-63، 2001، ص 286

إلى جانب الاستشارة يأتي دور الوساطة والتحكيم بناء على موقعه الحيادي<sup>24</sup> من نزاعات الساكنة وغربته<sup>25</sup> ومسافته من "العوام"؛ فبوصفه غريبا عن المجتمع المحلي الذي يعمل به، يتزايد تفاعله مع الوسط الجديد، و"يحمل إليه مزايا عدة لن تأتي من المجموعة ذاتها، ولا يمكن الإتيان بها"<sup>26</sup> إلا أن هذا التفاعل ليس دائما تفاعلا مباشرا أو انخراطا تاما في هذا المجتمع، لأنه رغم مكانته يبقى أجنبيا، ولذلك قد تتميز علاقته بالسكان بنوع من السلبية وأحيانا اللامبالاة؛ "فبصفته غريبا" يشترك فقط في صفات عامة ومجردة مع أعضاء الجماعة التي ينخرط فيها؛ فهو "قريب وبعيد في آن واحد".<sup>27</sup>

لكننا نشير إلى أن دور التحكيم تراجع عما كان عليه سابقا، بعد أن صار الفرد القروي يفضل التوجه في حل نزاعاته إلى السلطات المحلية أو القضاء، مستغنيا عن تحكيم باقي الوسطاء التقليديين، مثل الشرفاء والوجهاء والمسنيين من أفراد الجماعة (بتسكين الجيم). غير أنه ينبغي القول، إنه بالرغم من هذا التراجع الذي مس أدوار الفقيه سواء في الاستشارة والتحكيم، لازال يحظى بامتيازات خاصة ولا يعامل معاملة العوام، بما يقتضيه ذلك من الاحترام والتقدير والتشريف.<sup>28</sup>

**رابعا:** إن مزاجية الفقيه بين عالم الثقافة المكتوبة وعالم الثقافة الشفاهية<sup>29</sup>، ظلت تبوؤه مواقع مميزة كوسيط فيما بين الفرد والفرد<sup>30</sup> وفيما بينه وبين الدولة<sup>31</sup>. فمن داخل الوسط القروي وبوصفه الإمام والخطيب، يجسد دور الولاء الرسمي للسلطة الحاكمة، إلى جانب الوساطة التي يلعبها لصالحها، رابطا القرويين بالدولة ومنجزاتها وسيادتها، مرددا خطاباتها ومباركا خطواتها ومزكيا سياستها وحضورها، مما يجعله في مستوى آخر، واحدا من أعوانها وعيونها أيضا؛ فكثيرا ما يحول خبرته بشؤون البادية وساكنتها وإطلاعه على جزء

<sup>24</sup>- سبق لدرمنغهم أن لاحظ نفس الحياء والصمت الذي يميز الفقيه،:

EMIL. DERMENGHEM, *LE CULTE DES SAINTS DANS L'ISLAMMAGHRÉBIN*, GALLIMARD, PARIS, 1954, p. 203

وتؤكد كولونا أيضا طابع التكتّم الذي يميزه عن غيره من الشخصيات الدينية: F. COLONNA: «LA RÉPÉTITION» OP.CIT, 196

<sup>25</sup>- يفضل الفقيه نفسه، وضعه كغريب عن المنطقة التي يعمل بها، مستقيدا من الابتعاد عن النزاعات الدائرة بين السكان:

A. ZOUGGARI, *L'ÉCOLE EN MILIEU RURAL*, IMP. EL MAÂRIF AL JADIDA, RABAT, 1996, p. 189

ويؤكد "أيكلمان" أنه باستثناء اليهود "شكل الفقهاء فئة الغرباء الوحيدة التي كانت حاضرة بشكل عادي في البوادي. فباعثار هم "غرباء" لم يكن لهم دخل في السياسات المحلية كتلك المتعلقة بالنزاعات حول الأرض والماء".: ديل أيكلمان، المعرفة والسلطة...، م، س، د، ص 110

<sup>26</sup>- ديل أيكلمان، المعرفة والسلطة، م. س. د، ص 108

<sup>27</sup>- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

<sup>28</sup>- ببادية سوس، ظلت وضعية "فقيه الشرط" جد ممتازة، لأنه بمثابة قاضي القبيلة، يقضي بين الناس ويحكم بين المختلفين والمنتاز عين منهم؛ أنظر: المختار السوسي، سوس العالمية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960، ص 26

<sup>29</sup>- F. COLONNA « EN ALGÉRIE L'ISLAM DES GENS »: *PROJET*, N°: 231, AUTOMNE, PARIS, 1992, p.21

<sup>30</sup>- لاحظ L. PAYE، أن بعض "الفقهاء" كانوا يكسبون معاشهم، من كتابة الرسائل للقرويين أو للخواص:

L. PAYE, *INTRODUCTION ET ÉVOLUTION DE L'ENSEIGNEMENT MODERNE AU MAROC (DES ORIGINES JUSQU'À 1956)*, ÉD. ET INTROD. PAR: MED BENCHEKROUN, IMP. « ARRISALA », RABAT, 1992, p. 105

<sup>31</sup>- يطلب من فقيه الشرط أيضا، ترجمة النصوص القرآنية وخطب الجمعة إلى الأمازيغية وتقرئها من أفهام السكان الذين يتكلمون لغتهم المحلية لا العربية، ومن ثمة ربط الصلة ما بين القرويين وقرارات الدولة.: F. COLONNA « LA RÉPÉTITION ... » OP. CIT, p. 200



كبير من أسرارها، للعب أدوار التبليغ لصالح السلطات المحلية وأجهزتها الأمنية. لهذه الأسباب تمكن عدة فقهاء من أن يتحولوا إلى مقدمين وشيوخ بالجماعات القروية.

**خامسا:** تبينا ميدانيا، أن الفقيه كرجل دين يحرص بدوره على تعميق المسافة التي تميزه عن الآخرين ممن يعتبرهم "عوام"، سواء على مستوى اللباس والمظهر الخارجي أو على مستوى السلوك الاجتماعي والأخلاقي أيضا، معتقدا أن هذه المسافة أمر تستلزمه مكانته العلمية ومقامه الديني، فهو كشخص حامل لكتاب الله لا يمكنه أن يسوى بالعوام من الفلاحين والقرويين<sup>32</sup>. لذا نجد مجموعة من الأمثال المتداولة لدى الفقهاء ضد العوام منها مثلا: "العامي عدوك وأخا يكون بوك" أو "الطلبية عينين الحمير".

وفي مستوى آخر، يستثمر الفقيه طبيعة عمله الديني غير اليدوي لترسيخ تميزه عن القرويين من خلال الترويج لمقولة "الأذن البيضاء" وميله إلى عدم مجالستهم، باستثناء الشيوخ والوجهاء منهم، ممن يمثلون في المعتاد جماعة الدوار أو الجماعة (بتسكين الجيم). وفي الحالات التي يجتمع فيها الفقهاء بالقرويين، فإنهم سرعان ما يعمدون على المستوى التواصلي إلى استعمال لغة مشفرة يستدعون فيها كلمات وجمل من النص القرآني، يستعصي على غيرهم فهمها أو تفكيك دلالاتها ومعانيها، بل إن كلماته نفسها تتمتع بقدر من القداسة يستمدّها من سلطته الدينية؛ فهي ليست مجرد وسيلته للتواصل، وإنما هي أدواته في التوجيه والإرشاد وممارسة التأثير على الأفراد. وبفضل معجمها الديني يؤسس نظاما معرفيا خاصا به وبمجال عمله، بل وبشخصيته الدينية والرمزية ككل، ليبدو صاحب الخطاب المشروع الذي يستطيع أن يخلق مستوى واضحا من الإجماع تنتشده الجماعة (بتسكين الجيم).

**سادسا:** إن القرآن الذي يحفظه الفقيه ويملا به صدره، يجعله في أعين القرويين شخصا مباركا (بفتح الراء) ومباركا (بكسر الراء) يسعون عبر استدعائه، مباركة الأفعال والممارسات التي يقومون بها والاحتفالات<sup>33</sup> التي ينظمونها (خطبة - زفاف - عقيقة - مأدبة أو وليمة... الخ)، بل يحوله إلى شخص شريف "شرف الصدر"<sup>34</sup> لا شرف الظهر أو النسب، بعد أن امتلأ جوفه بكلمات الله وآيات كتابه التي لا تقهر. هكذا تمثل البركة بوصفها قدرة رمزية مفارقة، جزءا أساسيا من عمل الفقيه، يستمدّها من حفظ القرآن كأهم رصيد معرفي ورمزي يميزه عن "العوام" ويقربه من منزلة الأولياء. إذ يستعيد نموذج الولي، الرجل الفقير والتقي،

<sup>32</sup>- J.J. VIGNET – ZUNZ, OP.CIT, P. 205

<sup>33</sup>- إسلام الفقيه منخرط في الحياة اليومية أكثر مما هو مغرق في الروحية والتجريد؛ وهذا مبرر انفتاحه الشديد على الطقوس والعادات، مثلما يبرز جليا في المناسبات الخاصة التي ينشطها كالمآتم والمآدب وغيرهما. أنظر: F. COLONNA, *SAVANTS PAYSANS*, OP.CIT, P. 10.

<sup>34</sup>- ندين بهذا المفهوم لأستاذنا، إدريس بنسعيد في استشارة بحثية شفوية (جامعة محمد الخامس أكادال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط).



بل إن من الأولياء من مروا بتجربة الشرط؛ فمولاي عبد الله الشريف مثلا (شيخ وزان) كان "فقيه شرط"، وظلت صورته في البداية لدى الناس صورة الفقيه الحامل للقرآن، والمصلي بالناس والمعلم لأبنائهم.<sup>35</sup>

لهذا يرى الفقهاء أن حفظ القرآن لا يؤتى لأي كان،<sup>36</sup> بل هو هبة إلهية أو انتقاء رباني يعبر عنه مفهوم "الفتح". كما أنه في مستوى آخر، ثمرة لصعوبات عسيرة بتكرار مرات الحفظ يلخصها شعارهم المتداول: "اللوح حتى تخرج الروح"، ويجسدها أيضا معنى "السلكات"/مفردتها "سلكة"، الدال على الاختراق والاجتياز والمرور، والذي تؤطره مجموعة من الطقوس المؤسسة يعرفها حفظة القرآن؛ دون أن ننسى رحلات "السفارة" أو "التخنيش" \* الطويلة التي يقومون بها بحثا عن الشيوخ والمعلمين، وفي الآن نفسه عن فرص العمل بالشرط/ المشاركة.

وفي حالات عديدة، نجد أن الإعاقة الجسدية التي تميز بعض الفقهاء، تضفي عليهم هالة خاصة، كما تكسبهم تعاطفا شديدا من طرف السكان؛ والواضح أن ارتباط الجسد المعاق بالقداسة/البركة، جزء من "الالتباس" الذي يميز الثقافة المجتمعية في تعاملها مع الشخصيات التي تحملها، إذ تتحول هذه الإعاقة أو العاهة الجسدية إلى دليل مضاعف للاصطفاء الإلهي المقدس لهؤلاء أو غيرهم من رجال الدين، الذين يختلفون تماما عن الأشخاص العاديين أو العوام.<sup>37</sup>

سابعا: تتجسد أعلى مستويات "ثقافة الالتباس" التي تؤطر مؤسسة "فقيه الشرط" \_ بالنظر إلى شرعية الدينية،<sup>38</sup> كحامل لكتاب الله وموجه ديني وإمام في الصلاة \_ في ممارسته السحرية التي تجد في القرآن مادتها الأساسية ودعامتها الشرعية. ولئن كانت هناك آيات قرآنية وأحاديث نبوية تحرم السحر أو تمنعه أو تصفه بالكرهية، فإنه يتم تأويلها في اتجاه يسعى إلى تأكيد وجوده وقوته لا إلى نفيه.<sup>39</sup> وبتحليل لغة مستجوبينا من الفقهاء وكذا زبائنه من القرويين والقرويات، نلفي أنهم لا يتحدثون عن سحر، بل عن أحجية أو "سبوب" أو "بركة أسماء الله" أو "بركة القرآن".

<sup>35</sup> - HASSAN EL BOUDRARI "QUANT LES SAINTS FONT LES VILLES. LECTURE ANTHROPOLOGIQUE DE LA PRATIQUE SOCIALE D'UN SAINT MAROCAIN DU XVII SIÈCLE": *ANNALES, ECONOMIE, SOCIÉTÉS, CIVILISATIONS*, n°: 3, MAI – JUIN 1985, p. 491

<sup>36</sup> - F. COLONNA: « LA RÉPÉTITION ... », OP.CIT., P. 197

\* "السفارة أو التخنيش"، مرحلة أساسية في تكوين فقيه الشرط، فالأولى مشتقة من السفر والثانية من خنّش، أي حمل كيس الجوت على ظهره، والذي يضم عدته وعتاده في تنقله وسفره، بين جوامع الدواوير والقرى، حتى يأنس في نفسه الاستعداد الكافي لمزاولة مهام الشرط. وقد وصف BELLAIRE الطلبة المخنشين، بأنهم يسافرون من أجل العلم واستكمال حفظ القرآن. انظر:

E. M-BELLAIRE « L'ENSEIGNEMENT INDIGÈNE AU MAROC »: *REVUE DU MONDE MUSULMAN*, VOL XV, n°: 10, 1911, P. 427

<sup>37</sup> - فاني كولونا: "متفقون في الأطراف"، م.س. ذ، هامش، ص 260

<sup>38</sup> - انتبه "فستر مارك" للتداخل الذي يميز أدوار فقيه الشرط، فالإيمان بكونه يمثل الدين الأرثوذكسي ويعلم القرآن وينشر المعرفة الدينية، يتدخل في مجالات ومناسبات متنوعة، كحفلات الزواج والمآتم والأضاحي وكتابة الأحجية الوقائية وغيرها، ليستخلص أنه في حالات كثيرة، يبتعد عن الطهر الذي يميز الإسلام الأرثوذكسي الذي يمثله، أنظر: P. 68 « LA SOCIÉTÉ D'ANJRA.. », OP.CIT.,

<sup>39</sup> - بول باسكون: "الأساطير والمعتقدات بالمغرب"، ترجمة: مصطفى المسناوي، بيت الحكمة، العدد 3، أكتوبر 1986، ص 89



- "كيمشيو على كروشهم بحال الحناش"

- "كالو للفقيه زردة في بغداد كالهم قريبة"

- "بيخ (بخير) مع الشيخ والركعة مع القاضي"... إلخ

غير أنه ينبغي القول، إن هذه التجاوزات تتعايش جنباً إلى جنب مع تمثيلته الدينية المعيارية<sup>41</sup>، كما تجد في رأسماله الديني والرمزي ما يضمن لها ترسخها وثباتها من خلال مفهوم يوجد متجذراً في التراث الصوفي الشعبي، وهو خرق العادة أو ما يعرف في العامية أيضاً بـ"طيح الميزان"، كما تبلوره مؤسسات دينية أخرى كالصحاء وشيوخ الزوايا والمتصوفة الطرائقية.

يسمح هذا الاستثناء لهؤلاء جميعاً بتبني قيم وسلوكيات تتناقض ظاهر النصوص المرجعية على اعتبار أن "التكليف خاصّ بالعوامّ ساقط عن الخواصّ"؛ فالمثلية الجنسية والغلمة مثلاً، تجد من داخل الإسلام الصوفي الشعبي، سندها القوي في الروايات المجتمعية وتمثلات الأفراد. قد لا يهّم أن تتمتع هذه الروايات بقدر من الواقعية التاريخية، بل الأهم هو حاجة الفئات الشعبية والمحرومة إلى أسلمة المثلية الجنسية واستماجها في المقدّس، ضدّاً على التحريم الفقهيّ لتتحول إلى ممارسات قائمة في الواقع (الوليّ عليّ بن حمدوش، دفين نواحي مدينة مكناس بالمغرب، والذي تحول إلى ضريح المثليين نموذج قوي في هذا الباب).

**تاسعاً:** إذا كان من الممكن القول، إن الفقيه هو الممثل الأساسي للشأن الديني بالوسط القروي والحارس الأمين على تسيير شؤون المعتقد لسكانته<sup>42</sup>، فإن التغيرات القائمة تتجه، لأن تسحب منه هذا الدور أو لتضعف مساهمته في هذا التسيير. ولئن هو استطاع طيلة العقود السابقة أن يربط القرويين بنمط إسلام فقهي معتدل ومنفتح على خصوصيات وسطهم الاجتماعي، فإن البادية اليوم تخترقها نماذج دينية مخالفة<sup>43</sup>، وعازب جدد وأئمة "متمشرون" ونشطاء الجماعات الدينية، هذا إلى جانب زعماء ومشايخ القنوات الفضائية العربية.

في هذا السياق، تبدو البادية بحقلها الديني مداراً للصراع والتنافس بين الفقيه، وهذه الزعامات الدينية الجديدة التي وجدت في الشباب القروي المتمدرس<sup>44</sup> قاعدتها الصلبة. ونتيجة لعوامل، منها فقر الكتابات الفقهية

41- لا ينبغي أن يفهم أن الإسلام الذي يمثله الفقيه بتجاوزاته الاجتماعية والأخلاقية، بعيد عن النموذج الديني المعياري، على الأقل بالنسبة للقرويين؛ الذين لا ينكرون التقاطع القوي بين المعتقدات والممارسات الثقافية المحلية وجوهر الإسلام؛ كما أن الدين نفسه كما يفهم ويمارس، لا يوجد مفصلاً عن هذه الممارسات: ديل أيكلمان، الإسلام في المغرب، الجزء الثاني، م.س.د، ص 43-47-49

42- اختار باسكون في وصفه للفقهاء أن ينعتهم بـ "المقاولين المستقلين لتسيير الإسلام" لما لمسهم من احتكارهم الواضح لكل الأدوار الدينية داخل المجتمع.: بول باسكون: "الأساطير والمعتقدات بالمغرب"، م.س.د، ص 90

43- يميل المتفقون الدينون الجدد، إلى اكتساب شرعية مخالفة عبر الدخول في مساجلات فكرية مع منظري الفكر الحدائثي والتنويري، محدثين قطيعة مع النزعة السلفية التقليدية: محمد الطوزي "الأمير المثقف الديني والدولة"، م.س.د، ص 82؛ وأنظر أيضاً: ديل أيكلمان "التعليم العالي الجماهيري والتصور الديني في المجتمعات العربية المعاصرة"، ترجمة: محمد أعيف: المستقبل العربي، العدد 170، 1993، ص 64

44- يتميز الشباب وخصوصاً المتمدرس بتمرده على ثقافة الشيوخ، وقطع الصلة مع ثقافة الآباء وقيمهم الخاصة باحترام الفقيه والمسئول. راجع:

المغربية وضعف اهتمامها بجوانب الحياة اليومية للأفراد، مقارنة مع كتابات المشاركة التي تطفح بها المكتبات والأسواق وعتبات المساجد، برز أئمة جدد<sup>45</sup> لا يخفون تأثرهم بأفكار ونماذج دينية مشرقية، بل كثيرا ما يعمدون في خطبهم إلى استنساخ مشكلات ومناولات شرعية، لا تساوq الخصوصيات الواقعية والمذهبية لتطبيق الإسلام بالمغرب.

في المقابل، تحد عوامل عديدة من الدور الديني للفقهاء؛ فالجوامع القروية صارت تغلق بعد كل صلاة بسبب التشديد الأمني<sup>46</sup>، مما يقلص من أدوارها الاجتماعية المحلية وتأثيرها الديني أيضا. ويبقى يوم الجمعة غير كاف لإشباع حاجيات السكان دينيا، والخطبة المجردة والمنمقة لا يستوعب منها القرويون إلا نتقا مجزوءة عن سياقاتها، لعسر النصوص القرآنية والحديثية التي تتخللها.

من جهة أخرى، يصطدم النشاط من الفقهاء في مهمتهم التأطيرية بحدود وموانع لا يستطيعون تجاوزها<sup>47</sup>، بينما يتكاسل صنف الفقهاء "الباديين" منهم عن اتخاذ أية مبادرة بالوعظ والإرشاد، منتظرين في الحدود القصوى أسئلة القرويين ليجيبوا عنها. ونستطيع أن نؤكد أن نماذج كثيرة من هؤلاء، غير قادرة على إشباع الحاجيات الدينية للقرويين في غياب إمام دقيق بالشرعية وعلوم الدين<sup>48</sup> وبتدني مستوياتهم التعليمية<sup>49</sup>. فالفقيه إذن، مدعو بحكم مهامه الدينية الحساسة، كالإمامة وخطبة الجمعة، أن يطور معارفه الشخصية من خلال القراءة والمتابعة، وإذا كان هذا الأمر لا يتحقق – كما لمسنا ميدانيا – إلا بالنسبة لقلّة قليلة منهم، بسبب عوامل كثيرة، منها الفقر وضيق ذات اليد، والانشغال الدائب بالبحث عن أسباب الرزق من مصادر مختلفة (الخيطة – تلاوة القرآن في المقابر – البحث عن الولايم... إلخ).

ختاما، نستطيع القول، إن اقتصار بعض فقهاء الشرط على حفظ القرآن، دون تطوير ملكتي القراءة والكتابة، أصبح الآن أمرا محرجا إذا استحضرنا توسع قاعدة المتدربين والمتعلمين بالوسط القروي.<sup>50</sup>

P. PASCON ET M. BENTAHAR «CE QU'ÉDISENT 296 JEUNES RURAUX» *ÉTUDES SOCIOLOGIQUES SUR LE MAROC*, B.E.S.M., 1978, pp. 145 – 287

<sup>45</sup> - محمد الطوزي، الملكية والإسلام السياسي في المغرب بالملكية والإسلام السياسي في المغرب، ترجمة: محمد حاتمي وخالد شكرراوي، مراجعة: ع الرحيم بنحادة، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 2001، ص 101

<sup>46</sup> - شمل التضييق حتى الجماعات المعتدلة والمهادنة، "كالدعوة والتبليغ" وأصبح على كل من يرغب في قضاء الليل بالمسجد إخبار السلطات المعنية.

<sup>47</sup> - تدفع حساسية الدور الديني وطبيعة العمل بالشرط، "الفقيه" إلى غض الطرف عن سلوكات خاصة أو مشبوهة، كما تضطره إلى تبني مواقف وأفكار يضيق بها؛ كزيارة الأضرحة وما يرتبط بها من طقوس تبتعد عن تعاليم الدين الرسمي أو الأورثوذكسي.

<sup>48</sup> - لاحظت "كولونا" أن البادية الجزائرية أيضا يسير شأنها الديني، فقهاء يمارسون دور الإمامة، إلا أن تكوينهم البسيط والضعيف، يجعلها مثبته بالفلاحين؛ لذا تصفهم برجال الدين – الفلاحين (CLERCS – PAYSANS) في مقابل الأئمة المسؤولين على مساجد خاصة والذين تعينهم الدولة بناء على تكوين خاص.

F. COLONNA, *LES VERSETS DE L'INVINCIBILITÉ, PERMANENCE ET CHANGEMENT RELIGIEUX DANS L'ALGÉRIE CONTEMPORAINE*, PRESSE DE LA FONDATION NATIONALE DES SCIENCES POLITIQUES, 1995, p. 60

<sup>49</sup> - من هؤلاء من يجتهد في إعطاء فتاوى دون إمام أو إدراك لمقتضياتها الشرعية، بل ثمة "نماذج سيئة" من الفقهاء الوضاعين لا يترددون في وضع أحكام وآراء لا وجود لها أو ملفقة، مستغلين جهل القرويين وأميتهم.

<sup>50</sup> - بالجزائر أيضا، تقلص حضور الكتابة في الثقافة الدينية للبادية مقارنة مع العقود السابقة، بسبب غياب فقهاء يمارسون الكتابة؛ ها هنا يتم الربط بين دور الفقهاء "كمتقنين محليين" وبين مصير الثقافة الدينية المحلية ككل. فاني كولونا: "متقفون في الأطراف"، م. س. د، ص ص 279 و 293

**عاشرا:** يبدو اليوم أن المؤهلات المختلفة التي مكنت فقيه الشرط في الماضي من لعب أدوار كبرى أو الترقى لممارسة مهن خاصة كالتدريس والعدل والتوثيق...، تعرف تقلصا ملحوظا، تراجعت معها سلطتهم ومكانتهم الاقتصادية والاجتماعية. فالواضح أن موجة التحولات التي عرفها العالم القروي عامة ومجتمع الدراسة خاصة، تسير في اتجاه لا يحتفظ له إلا بوظائف أقل قيمة ورمزية مما كان يقوم به؛ ولئن كانت مؤهلاته المتعددة أسعفته خلال العقود الماضية لمزاولة مهن مميزة، فإنه الآن تحت ضغط الفقر وهزلة مبالغ "الشرط" وهشاشته، صار مضطرا للتخلي عن مهنته أو مرشحا كغيره من الساكنة للهجرة السرية (الحريك)، وفي حالات أخرى للتوجه نحو خيارات أخرى، كالتجارة الموسمية وبيع التمام والأحذية في الأسواق. هاهنا يعتقد مستجوبونا، أن مستقبل مهنتهم صار وشيكا من نهايته، لأنهم يلفون كل الشواهد الواقعية التي أمامهم، تنشي بذات التراجع الذي مس موقعهم، كما يلمسون غياب تدخل الدولة ويسجلون رفع يدها عن دعمهم ومساعدتهم في ظل ظروف قاسية، يرون أنها لا تشجع على بروز جيل جديد من الفقهاء/ الخلف أو "الخلفة". ومما يزيد من صعوبة تأمين هذه الأخيرة، تراجع إشعاع الزاوية الشرقاوية<sup>51</sup> التي اهتمت باحتضان حفظة القرآن وإعداد وتكوين فقهاء ومدرسين بالكاتيب القرآنية.

وأمام تراجع دور المدارس الدينية<sup>52</sup> العتيقة والزوايا القرآنية، يطرح الخلف مشكلة حقيقية، سيما وأن "جامع الرمامين" الذي يحتضن حفظة القرآن (دوار الحوازم، جماعة أولاد عيسى، دائرة وادي زم) والذي يشكل استثناء داخل الإقليم؛ لا يفي وحده لسد الخصاص الذي تعرفه دواوير قروية عديدة، مما بات يهدد حماية الموروث الثقافي لحفظ القرآن وتناقله عبر الأجيال، كما يعرض فئات واسعة من حملته لمصير غامض.

## ختاما:

نؤكد أن من تبقى من "فقهاء الشرط" اليوم، يقاوم داخل شعاب باديتها واقعه الصعب، وهو في ذلك يواجه قدره وحيدا، بعيدا عن أي دعم أو تأطير ملموس ومشجع. وقد لفت انتباهنا كلام أحد القرويين، حينما لخص هذا الوضع في عبارته: "سيأتي يوم نبحت فيه عن الفقيه فلا نجده"! فلئن كان "فقيه الشرط" اليوم قد استطاع أن يقاوم موجة التحولات القائمة، فماذا عساه أن يصنع أمام ما تحمله الأيام المقبلة؟

<sup>51</sup>- يؤكد أيكلمان في دراسته للزاوية الشرقاوية ومدارسها العلمية، تراجع نفوذها ودورها في بداية القرن العشرين، بعدما انقطعت المساعدات المادية ومداخل عزائب الزاوية، فمع سنة 1913 لم يبق بها سوى خمسة عشر طالبا، وعلى رأسهم فقيه غير شرقاوي: الإسلام في المغرب، الجزء الأول، ترجمة: محمد أعيف، دار توبقال للنشر، البيضاء، الطبعة الأولى، 1989، ص 78

<sup>52</sup>- تلحق المدارس الدينية بالزوايا أو الجوامع الكبرى، وتقدم تكويننا علميا ودينيا متقدما عما يقدمه الكتاب، وتنتشر بمناطق كثيرة من المغرب أهمها جباله وسوس،: المختار السوسي: مدارس سوس العتيقة، نظامها أساتذتها (د.ت و د.د.ن)، ص 93-135، والمعسول، الجزء الأول، مطبعة النجاح، البيضاء، 1961، ص 166



MominounWithoutBorders



@ Mominoun\_sm



Mominoun

الرباط - المملكة المغربية  
ص.ب : 10569  
هاتف: 00212537779954  
فاكس: 00212537778827  
info@mominoun.com  
www.mominoun.com